

## أقسام القرآن (١)

يختلف الاستعداد النفسى عند الفرد فى تقبله للحق وانقياده لنوره ، فالنفس الصافية التى لم تندنس فطرتها بالرجس تستجيب للهدى ، وتفتح قلبها لإشعاعه ، ويكفيها فى الانصياع إليه اللّمحة والإشارة ، أما النفس التى رانت عليها سحابة الجهل ، وغشيتها ظلمة الباطل فلا يهتز قلبها إلا بمطارق الزجر ، وصيغ التأكيد ، حتى يتزعزع نكيرها ، والقَسَم فى الخطاب من أساليب التأكيد التى يتخللها البرهان المفحم ، والاستدراج بالخصم إلى الاعتراف بما يجحد .

\* \* \*

### تعرف القَسَم وصيغته

والأقسام : جمع قَسَم - بفتح السين - بمعنى الحلف واليمين ، والصيغة الأصلية للقَسَم أن يؤتى بالفعل « أقسم » أو « أحلف » متعدياً بالباء إلى المُقَسَم به ، ثم يأتى المُقَسَم عليه ، وهو المسمى بجواب القَسَم ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ، لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ (٢) .

فأجزاء صيغة القَسَم ثلاثة :

١ - الفعل الذى يتعدى بالباء .

٢ - والمُقَسَم به .

٣ - والمُقَسَم عليه .

ولما كان القَسَم يكثر فى الكلام ، اختُصِرَ فصار فعل القَسَم يُحذف ويُكتفى

---

(١) أفرد هذا الفصل بالبحث العلامة ابن القيم فى كتابه « أقسام القرآن » المسمى

بـ « التبيان » وهو كتاب فريد فى بابه اختصرنا منه هذا البحث .

(٢) النحل : ٣٨

بالباء (١) ثم عُوِّضَ عن الباء بالواو فى الأسماء الظاهرة كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ (٢) ، وبالتاء فى لفظ الجلالة كقوله : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾ (٣) ، وهذا قليل ، أما الواو فكثيرة .

والقَسَمَ واليمين واحد : ويعرف بأنه : ربط النفس ، بالامتناع عن شىء أو الإقدام عليه ، بمعنى معظمَّ عند الخالف حقيقة أو اعتقاداً ، وَسُمِّيَ الخَلْفَ يَمِينًا لأن العرب كان أحدهم يأخذ بيمين صاحبه عند التحالف .

\* \* \*

### فائدة القَسَمَ فى القرآن

تمتاز اللُّغة العربية بدقة التعبير واختلاف الأساليب بتنوع الأغراض ، وللمخاطب حالات مختلفة ، هى المسماة فى المعانى بأضرب الخير الثلاثة : الابتدائى ، والطلبى ، والإنكارى .

فقد يكون المخاطب خالى الذهن من الحكم فيلقى إليه الكلام غفلاً من التأكيد ، ويسمى هذا الضرب : ابتدائياً .

وقد يكون متردداً فى ثبوت الحكم وعدمه ، فيحسن تقوية الحكم له بمؤكد ليزيل تردده ، ويسمى هذا الضرب : طلبياً .

وقد يكون منكراً للحكم ، فيجب أن يؤكد له الكلام بقدر إنكاره قوة وضعفاً ، ويسمى هذا الضرب : إنكارياً .

والقَسَمَ من المؤكدات المشهورة التى تمكّن الشىء فى النفس وتقويه ، وقد نزل القرآن الكريم للناس كافة ، ووقف الناس منه مواقف متباينة ، فمنهم الشاك ، ومنهم المنكر ، ومنهم الخصم الألد ، فالقَسَمَ فى كلام الله يُزيل الشكوك ، ويُحبط الشبهات ، ويُقيم الحجة ، ويُؤكد الأخبار ، ويقرر الحكم فى أكمل صورة .

\* \* \*

---

(١) والباء لم ترد فى القرآن مع فعل القَسَمَ ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾ (النور : ٥٣) .

(٣) الأنبياء : ٥٧

(٢) الليل : ١

## المُقَسَّم به في القرآن

يُقَسَّم الله تعالى بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته ، أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته ، وإقسامه ببعض مخلوقاته دليل على أنه من عظيم آياته ، وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع :

- ١ - في قوله : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثُوا ، قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ﴾ (١) .
  - ٢ - وقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ، قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ (٢) .
  - ٣ - وقوله : ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ ، قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ (٣) .  
وفي هذه الثلاثة أمر الله نبيه ﷺ أن يُقَسِّمَ به .
  - ٤ - وقوله : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ (٤) .
  - ٥ - وقوله : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٥) .
  - ٦ - وقوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (٦) .
  - ٧ - وقوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ (٧) .
- وسائر القسَم في القرآن بمخلوقاته سبحانه ، كقوله : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا \* وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ (٨) .
- وقوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ \* وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ \* وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ (٩) .
- وقوله : ﴿ وَالْفَجْرِ \* وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ (١٠) .
- وقوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُفِ ﴾ (١١) .

(١) التغابن : ٧	(٢) سبأ : ٣	(٣) يونس : ٥٣
(٤) مريم : ٦٨	(٥) الحجر : ٩٢	(٦) النساء : ٦٥
(٧) المعارج : ٤٠	(٨) الشمس : ١ - ٢	(٩) الليل : ١ - ٣
(١٠) الفجر : ١ - ٢	(١١) التكويد : ١٥	

وقوله : ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ \* وَطُورِ سِينِينَ ﴾ (١) ، وهذا هو الكثير في القرآن .

ولله أن يحلف بما شاء ، أما حلف العباد بغير الله فهو ضرب من الشرك ، فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ حلف بغير الله فقد كفر - أو شرك » (٢) ، وإنما أقسم الله بمخلوقاته لأنها تدل على بارئها ، وهو الله تعالى ، وللإشارة إلى فضيلتها ومنفعتيها ليعتبر الناس بها ، وعن الحسن قال : « إن الله يُقسم بما شاء من خلقه وليس لأحد أن يُقسم إلا بالله » (٣) .

\* \* \*

### أنواع القسم

القسم : إما ظاهر ، وإما مضمّر .

١ - فالظاهر : - هو ما صرّح فيه بفعل القسم ، وصرّح فيه بالمقسم به ، ومنه ما حذف فيه فعل القسم كما هو الغائب اكتفاءً بالجار من الياء أو الواو أو التاء .

وقد أدخلت « لا » النافية « على فعل القسم فى بعض المواضع ، كقوله تعالى : ﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ \* وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (٤) فقيل : « لا » فى الموضوعين نافية لمحذوف يناسب المقام ، والتقدير مثلاً : لا صحة لما تزعمون أنه لا حساب ولا عقاب ، ثم استأنف فقال : أقسم بيوم القيامة ، وبالنفس اللوامة ، أنكم ستبعثون ، وقيل : « لا » لنفى القسم كأنه قال : لا أقسم عليك بذلك اليوم وتلك النفس ، ولكنى أسألك غير مقسم ، أحسب أننا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت؟ إن الأمر من الظهور بحيث لا يحتاج إلى قسم ، وقيل : « لا » زائدة - وجواب القسم فى الآية المذكورة محذوف دل عليه قوله بعد : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ ﴾ ... إلخ ، والتقدير : لتبعثن ولتحاسبن .

٢ - والقسم المضمّر هو ما لم يُصرّح فيه بفعل القسم ولا بالمقسم به ، وإنما تدل

(٢) رواه الترمذى وحسنه ، وصححه الحاكم .

(٤) القيامة : ١ - ٢

(١) التين : ١ - ٢

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم .

عليه اللام المؤكدة التي تدخل على جواب القسم كقوله تعالى : ﴿ لَتَبْلُونَ فِي  
أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ (١) أى والله لتبلون .

\* \* \*

### أحوال المُقسَم عليه

١ - المُقسَم عليه يُراد بالقسم توكيده وتحقيقه ، فلا بد أن يكون مما يحسن فيه  
ذلك ، كالأمر الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها .

٢ - وجواب القسم يُذكر تارة - وهو الغالب - وتارة يُحذف ، كما يُحذف  
جواب « لو » كثيراً ، كقوله : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴾ (٢) وحذف مثل  
هذا من أحسن الأساليب ، لأنه يدل على التفضيم والتعظيم ، فالتقدير مثلاً : لو  
تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين لفعلتُم ما لا يوصف من الخير ، فحذف  
جواب القسم كقوله : ﴿ وَالْفَجْرِ \* وَلَيَالٍ عَشْرٍ \* وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ \* وَالْأَيْلِ إِذَا  
يَسَّرَ \* هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٍ لِّذِي حِجْرِ ﴾ (٣) فالمراد بالقسم أن الزمان المتضمن لمثل  
هذه الأعمال أهل أن يُقسم الرب عز وجل به ، فلا يحتاج إلى جواب ، وقيل :  
الجواب محذوف ، أى : لتعذبن يا كفار مكة ، وقيل : مذكور ، وهو قوله : ﴿ إِنَّ  
رَبَّكَ لِلْأَمْرِ صَادٍ ﴾ (٤) والصحيح المناسب أنه لا يحتاج إلى جواب .

وقد يُحذف الجواب لدلالة المذكور عليه ، كقوله تعالى : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِبَوْمِ  
الْقِيَامَةِ \* وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (٥) فجواب القسم محذوف دلّ عليه قوله  
بعد : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ ﴾ (٦) ... إلخ ، والتقدير : لتبعثن  
ولتحاسبين .

٣ - والماضى المثبت المتصرف الذى لم يتقدم معموله إذا وقع جواباً للقسم تلزمه  
اللام و« قد » ، ولا يجوز الاقتصار على إحداهما إلا عند طول الكلام ، كقوله  
تعالى : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا \* وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا \* وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا \*

(٣) الفجر : ١ - ٥

(٢) التكاثر : ٥

(١) آل عمران : ١٨٦

(٦) القيامة : ٣

(٥) القيامة : ١ - ٢

(٤) الفجر : ١٤

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا \* وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا \* وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا \* وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١﴾ فجواب القسم : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ حُذِفَتْ مِنْهُ اللَّامُ لَطُولِ الْكَلَامِ .

ولذلك قالوا في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ \* وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ \* وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ \* قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴾ (٢) : إن الأحسن أن يكون هذا القسم مستغنياً عن الجواب ، لأن القصد التنبيه على المُقْسَمِ بِهِ ، وأنه من آيات الرب العظيمة ، وقيل : الجواب محذوف دل عليه : ﴿ قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴾ أي أنهم ملعونون ، يعنى كفار مكة كما لعن أصحاب الأخدود ، وقيل : حُذِفَ صَدْرُهُ ، وتقديره : لقد قُتِلَ ، لأن الفعل الماضي إذا وقع جواباً للقسم تلزمه اللام و« قد » ، ولا يجوز الاقتصار على إحداهما إلا عند طول الكلام ، كما سبق في قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ ، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ .

٤ - وَيُقْسَمُ اللَّهُ عَلَى أَصُولِ الْإِيمَانِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ مَعْرِفَتُهَا فَتَارَةً يُقْسَمُ عَلَى التَّوْحِيدِ كَقَوْلِهِ : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفَا \* فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا \* فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا \* إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾ (٣) .

وتارة يُقْسَمُ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ \* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ \* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ (٤) .  
وتارة عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ كَقَوْلِهِ : ﴿ يَس \* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ \* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٥) .

وتارة عَلَى الْجِزَاءِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا \* فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا \* فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا \* فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا \* إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ \* وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾ (٦) .

(٣) الصافات : ١ - ٤

(٢) البروج : ١ - ٤

(١) الشمس : ١ - ٩

(٦) الذاريات : ١ - ٦

(٥) يس : ١ - ٣

(٤) الواقعة : ٧٥ - ٧٧

وتارة على حال الإنسان ، كقوله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ \* وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ \* وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ \* إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَىٰ ﴾ (١) .

٥ - والقَسَمُ إما على جملة خبرية = وهو الغالب - كقوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ (٢) ، وإما على جملة طلبية فى المعنى كقوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣) . . لأن المراد التهديد والوعيد .

\* \* \*

### القَسَمُ وَالشَّرْطُ

يجتمع القَسَمُ والشَّرْطُ فيدخل كل منهما على الآخر فيكون الجواب للمتقدم منهما - قَسَمًا كان أو شرطًا - ويغنى عن جواب الآخر .

فإن تقدم القَسَمُ على الشرط كان الجواب للقَسَمِ وأغنى عن جواب الشرط، كقوله تعالى : ﴿ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ (٤) إذ التقدير : والله لئن لم تنته .

واللام الداخلة على الشرط ليست بلام جواب القَسَمِ كالتى فى مثل قوله تعالى : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾ (٥) ولكنها اللام الداخلة على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبنى على قَسَمٍ قبلها لا على الشرط ، وتسمى اللام المؤذنة ، وتسمى كذلك الموطئة ، لأنها وطأت الجواب للقَسَمِ ، أى مهدتة له ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ، وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ ، وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ (٦) ، وأكثر ما تدخل اللام الموطئة على « إن » الشرطية ، وقد تدخل على غيرها .

ولا يقال : إن الجملة الشرطية هى جواب القَسَمِ المقدَّر، فإن الشرط لا يصلح أن

(٣) الحجر : ٩٢ - ٩٣

(٢) الذاريات : ٢٣

(١) الليل : ١ - ٤

(٦) الحشر : ١٢

(٥) الأنبياء : ٥٧

(٤) مريم : ٤٦

يكون جواباً ، لأن الجواب لا يكون إلا خبيراً ، والشرط إنشاء ، وعلى هذا فإن قوله تعالى في المثال الأول : ﴿ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ يكون جواباً للقسم المقدّر أغنى عن جواب الشرط .

ودخول اللام الموطئة للقسم على الشرط ليس واجباً ، فقد تحذف مع كون القسم مقدراً قبل الشرط ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) .

والذى يدل على أن الجواب للقسم لا للشرط دخول اللام فيه وأنه ليس بمجزوم ، بدليل قوله تعالى : ﴿ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ﴾ (٢) ولو كانت جملة ﴿ لا يأتون ﴾ جواباً للشرط لجزم الفعل .  
وأما قوله تعالى : ﴿ ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون ﴾ (٣) ، فاللام فى : ﴿ ولئن ﴾ هى الموطئة للقسم ، واللام فى : ﴿ لإلى الله ﴾ هى لام القسم ، أى الواقعة فى الجواب ، ولم تدخل نون التوكيد على الفعل (٤) للفصل بينه وبين اللام بالجار والمجرور ، والأصل : لئن متم أو قتلتم لتحشرون إلى الله .

\* \* \*

### ● إجراء بعض الأفعال مجرى القسم :

إذا كان القسم يأتى لتأكيد القسم عليه فإن بعض الأفعال يجرى مجراه إذا كان سياق الكلام فى معناه ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ ﴾ (٥) ، فاللام فى قوله : ﴿ لتبيننه للناس ﴾ لام القسم ، والجملة بعدها جواب القسم ، لأن أخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف .

(٣) آل عمران : ١٥٨

(٢) الإسراء : ٨٨

(١) المائدة : ٧٣

(٤) يجب توكيد الفعل إذا كان مثبتاً مستقبلاً ، جواباً لقسم ، غير مفضول من لامة بفاصل ، وجواب القسم هنا وإن كان مثبتاً مستقبلاً ، فإنه قد فصل بينه وبين اللام بالجار والمجرور .

(٥) آل عمران : ١٨٧

وحمل المفسرون على هذا قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ ﴾ (٢) .

وقوله : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَكُمْ فِي  
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ (٣) .

\* \* \*

(٣) النور : ٥٥

(٢) البقرة : ٨٤

(١) البقرة : ٨٣